أبحاث

الأمير بدر الدين بيدرا المنصورى ودوره السياسى خلال عهدى المنصور قلاوون والأشرف خليل (٦٧٨ - ٦٩٣ هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٣م)

د. صلاح سليم طايع
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
قسم التاريخ – كلية الآداب بقنا

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على شخصية غير سلطانية لعبت دوراً عظيماً على مسرح الأحداث السياسية فى العصر المملوكى خلال عهدى السطان الملك المنصور قلاوون، والسلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون أى خلال الفترة الممتدة من ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م إلى ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، وهى شخصية الأمير بدر الدين بيدرا المنصورى الذى تولى العديد من الوظائف والمناصب المؤثرة فى الدولة المملوكية ومنها إمرة المجلس، والأستادارية، والوزارة، ونيابة السلطنة حتى وصل به الأمر إلى قتله السلطان الملك الأشرف خليل وسلطنته بدلاً منه ، ومن ثم فقد أثرى الحياة السياسية خلال الفترة موضوع البحث كما كان عنصراً مؤثراً للغاية على مسرح الأحداث التاريخية بالنسبة للتاريخ المملوكى حيث أن له أكبر الأثر فى إنهاء حياة سلطان وإعلان سلطنته مما كان له أعظم الأثر في تولية الناصر محمد بن قلاوون مما هو جدير بالبحث والدراسة لذا أفردت هذا البحث لمعالجة هذه الشخصية وقد قسمت البحث إلى ثلاثة محاور يمكن عرضها على النحو التالى:

المحور الأول: بعنوان الأمير بدر الدين بيدرا خلال سلطنة المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م) وقد تطرق إلى بيدرا لغة، ثم بداية ترقيه فى الوظائف حيث كان من أعيان المملكة وأرباب المناصب وفى هذا الإطار شغل وظيفة أمير مجلس، ثم الوزارة، ثم الأستادارية ثم الوزارة؛ مع ما يتخلل هذه الوظائف من أحداث تاريخية أثرت فى بيدرا أو أثر هو بها.

أما المحور الثانى: فقد تناول الأمير بيدرا خلال سلطنة الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٣م) حيث تطرق المحور إلى وزارة بيدرا فى بداية حكم الأشرف ثم توليه نيابة السلطنة فى تطور سياسى مهم مر بهذه الشخصية المملوكية، كما تطرق للأحداث السياسية التى أثرت فيه أو أثر هو فيها من خلال إلقاء الضوء على علاقته بالسلطان من جهة والأمراء على اختلاف وظائفهم من جهة أخرى.

أما المحور الثالث: فقد تناول مقتل السلطان الملك الأشرف خليل على يد الأمير بيدرا ومن خالطه من الأمراء بتروجة ثم سلطنة بيدرا وتلقبه بالملك الأوحد أو المعظم أو القاهر فى ذات السنة، ثم مقتل الأمير بيدرا بالطرانة أيضاً فى ذات السنة وتولية السلطان

الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وفى هذا الإطار تناول المحور أيضا مناقشة حول سلطنة بيدرا.

ويحتوى البحث على العناصر التالية:

المحور الأول: الأمير بدر الدين بيدرا خلال سلطنة المنصور قلاوون :
(٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)

المحور الثانى: الأمير بدر الدين بيدرا فى سلطنة الأشرف خليل :
(٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م)

المحور الثالث: مقتل السلطان الملك الأشرف خليل :
(٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م)

- سلطنة بيدرا (الملك الأوحد أو المعظم أو القاهر) .
- مقتل بيدرا بالطرانة .

وقد أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة، ثم أرفقت خريطة توضيحية تبين أهم موضع الأحداث بالنسبة للأمير بيدرا التى تخدم موضوع البحث ، ثم قائمة المصادر والمراجع .

المحور الأول:- الأمير بدر الدين بيدرا خلال سلطنة المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)

بيدرا لغة: بفتح الباء الموحدة، وسكون الياء آخر الحروف، ودال مهملة وبعدها راء وألف مقصور[١]، ذكره أبو المحاسن فقال : " بيدرا بن عبد الله المنصورى[٢] الأمير[٣] بدر الدين[٤] ... كان أصله من مماليك الملك[٥] المنصور قلاوون[٦]، وأعز أمرائه"[٧]، ووصفه بقوله " وكان بيدرا جليل القدر، ويرجع إلى دين وعقل وعدل. وكان يحب جمع الكتب فى أنواع العلوم ، واقتنى منها جملة. واستنسخ جملة أيضاً. وكان يحب الفضلاء وأهل العلم ويقدمهم ويكرمهم"[٨].

وقد كان بيدرا من أعيان المملكة وأرباب المناصب فى عهد السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م)، كما كان من أرباب السيوف، حيث شغل وظيفة أمير مجلس[٩]، وهى كما ذكرها القلقشندى (إمرة مجلس)

---

(١) الصفدى: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق د .على أبو زيد، وأخرون، قدم له، مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر، دمشق سوريا، ١٩٩٧م، ج١، ص١٤٧.

(٢) المنصورى: نسبة إلى الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى العلائى . مزيد من التفاصيل عن السلطان الملك المنصور: ابن حبيب: تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة وتقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث، وزارة الثقافة، جمهورية مصر العربية، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٦م، ج١، ص١٥.

(٣) الأمير فى اللغة ذو الأمر والتسلط وهو لقب من ألقاب الوظائف التى استعملت كذلك كألقاب فخرية ويرجع استعماله فى الإسلام كاسم لوظيفة إلى عصر النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان يقصد به الولاية على الحكم أو رئاسة الجيش ونحوذلك وقد استعمل أيضا بمعنى الولاية العامة فى هذا العصر المتقدم. القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، تراثنا، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ج٦، ص١٠، حسن الباشا: الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٧٩، ٢١٤.

(٤) بدر الدين: أضيف لفظ بدر إلى بعض الكلمات لتكوين ألقاب مركبه مثل بدر الدولة وبدر الدين. القلقشندى: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٨؛ حسن الباشا: الألقاب، ص٢٢٣.

(٥) الملك: هو الزعيم الأعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم فى غير موضع، والملك مقصور من مالك أو مليك ويجمع على ملوك وأملاك ويقال لموضعه الملك المملكة. القلقشندى: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٧، حسن الباشا: الألقاب، ص٤٩٦، ٥٠٦

(٦) قلاوون: أى الأمير البطه. محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، ص١٢٤.
Wiet: L"Egypte Arabe, Paris, 1920, P. 435

(٧) ابن تغرى بردى: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦ م، ج١، ص٣٠٥.

(٨) ابن تغرى بردى: المنهل، ج١، ص٣٠٥ ؛
King: The Knights Hospitallers in The Holy Land, London, 1931, P. 282

(٩) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج١، ق٣، ص٦٩٩ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٩٤م ، ص ٧٢ – ٧٣.

وموضوعها تولى أمور مجلس السلطان، وهو يتحدث عن الأطباء والكحالين، ومن شاكلهم ، ولا يكون إلا واحدا" [1]، بينما يذكر الدكتور عبدالمنعم ماجد أن أمير مجلس هو الذى يتولى الإشراف على نظام جلوس السلطان الرسمى فى القصر، وأوجده السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) ويشبه صاحب المجلس فى أيام الفاطميين[2] مما يدل على خطأ فى معرفة أحوال منصبه عند القلقشندى ولكننا نرى أن منصبه يتمثل فى الإشراف على مجلس السلطان وتنظيمه أينما جلس .

ولقد جاء ذكر هذه الوظيفة مقترناً بانتصار الأمير بدر الدين الأيدمرى[3] على التتار، وذلك بعد أن جرد السلطان المنصور قلاوون من دمشق - عندما استقر بها - العسكر مع الأمير بدر الدين الأيدمرى إلى الرحبة[4]، ليدفع من عليها من التتار ، فقد ذكر المقريزى " ورسم السلطان أن تكون البشائر إنعاماً على من يذكر: وهى القاهرة ومصر على يد الأمير حسام الدين لاجين[5] السلاح دار الرومى، وقوص الوجه القبلى خلا الفيوم على يد الأمير بدر الدين بيدر -بيدرا- المنصورى أمير مجلس .." [6].

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ١٨ .

(٢) عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، مكتبة الأنجلو، ط٢، القاهرة، ١٩٨٩م، ج١، ص ٢٨ .

(٣) الأمير بدر الدين الأيدمري: ذكره الذهبى وابن تغرى بردى فقالا: من كبراء الأمراء المصريين، وأظنه من الأمراء الصالحية. رأيته حامل الجتر على رأس السلطان الملك المنصور يوم عبورد. قيد موته الملك المؤيد، رحمه الله . الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٥١، ص ٢٦١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، ج٧، ص ٣٠٦؛

Lané Poole: A history of Egypt in The Middle Ages, London, 1936, PP. 344 - 349.

(٤) الرحبة: قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة والرحب بالضم في اللغة السعة والرحب بالفتح الواسع و الرحبة ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القرى والأصل في الرحبة الفضاء بين أفنية البيوت أو القوم والمسجد ويقال رحبة أيضا وقيل رحبة اسم ورحبة نعت وبلاد رحبة واسعة ولا يقال رحبة بالتحريك وقال ابن الأعرابي الرحبة ما اتسع من الأرض وجمعها رحب . ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار الفكر – بيروت، (د.ت)، ج٣، ص٣٣.

(٥) الأمير حسام الدين لاجين: الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري. تسلطن بعد خلع الملك العادل كتبغا في محرم سنة ست وتسعين وستمائة. وهو السلطان الحادي عشر من ملوك الترك بالديار المصرية . وأصله من مماليك الملك المنصور قلاوون، رقاه إلى أن ولاه نيابة قلعة دمشق ثم نيابة دمشق ؛ فأقام بها إحدى عشرة سنة، إلى أن عزله الملك الأشرف خليل ابن قلاوون بالشجاعي، وقبض عليه، وخنق بين يدي الملك الأشرف خليل، ثم خلى عنه ؛ فإذا به رمق، فرق عليه الأشرف وأطلقه، ورده إلى رتبته ، فلما ثار بيدرا على الأشرف كان لاجين هذا من جملة من وافقه على قتله وساعده في ذلك. ابن تغرى بردى: مرد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ج٢، ص٥١؛ العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٢، ص ٢٩٣ ؛

Wiet: L'Egypte Arabe, P. 464

(٦) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٦٩٩ .

كما شغل بيدرا أيضاً وظيفة الوزارة فكان من أعيان المملكة وأرباب المناصب حملة الأقلام ، حيث تعد هذه الوظيفة من الوظائف الديوانية، وهى من أجل الوظائف وأرفعها رتبة ، وربها كما يذكر القلقشندى: "ثانى السلطان لو أنصف وعرف حقه، لكنها لما حدثت عليها النيابة تأخرت وقعد بها مكانها حتى صار المتحدث كناظر المال لا يتعدى الحديث فيه، ولا يتسع له فى التصرف مجال، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل لتطلع السلطان إلى الإحاطة بجزئيات الأحوال"(١)، وتفصيل ذلك أن المقريزى أمدنا بنص مهم يتبين منه كيفية ترقى بيدرا فى وظائف الدولة، وإزدياد نفوذه بها حيث ذكر: "وفى يوم الثلاثاء سابع عشر (من شهر المحرم سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) استقر فى الوزارة بديار مصر الأمير بدر الدين بيدرا، عوضاً عن سنجر الشجاعى(٢)، بعدما عرضت على قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن بن بنت الأعز(٣) فامتنع، وشرط على الأمير بيدرا أنه يشاور ابن بنت الأعز ، ويعتمد ما يشير به . وكان ابن بنت الأعز إذا دخل على السلطان، وهو يومئذ ناظر الخزانة(٤)، يقول له: "يا قاضى! إيش حال ولدك بيدرا فى وزارته؟" فيقول: "يا خوند! ولد صالح دخلت بولايته الجنة، وأزلت الظلم، واستجلبت لك الدعاء، والذى كان يحصل بالعسف حصل باللطف" (٥).

ومما يدل على رعاية قاضى القضاه ابن بنت الأعز للوزير بدر الدين بيدرا وعنايته به أنه صار يدخل على بيدرا كل يوم أربعاء ويقرر معه ما يفعل وذلك لإكسابه الخبرة اللازمة، ثم استناب بيدرا ضياء الدين عبدالله النشائى وصار يجلس معه(٦). ومع تطور الأحداث السياسية عزل بيدرا عن الوزارة فى التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م بعد أن أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى الذى تولاها، واستدعى قاضى القضاة ابن بنت الأعز، وخلعت عليه خلع الوزارة غير انه لم يوفِ منصب الوزارة حقه لتمسكه بظاهر الأمور الشرعية، ثم ثقلت عليه الوزارة فأعيد الأمير

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٨ .

(٢) الأمير سنجر الشجاعى: أحد أمراء الملك المنصور قلاوون وكان قائداً فى الجيش المملوكى فى معركة مرج حمص ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م تولى الوزارة فى عهده وعزل عنها سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م وعين بدلاً منه الأمير بدر الدين بيدرا فى الوزارة، وكان يبرس أستاذية الدار بعد أن كان أمير مجلس وكان لطيف الطباع جيد الكتابة. بيبرس المنصورى: التحفة المملوكية فى الدولة التركية، نشر وتقديم د. عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٨٧م، ص ١٠٠، ١١٩.

(٣) ابن بنت الأعز: هو قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر الدين أبو محمد المصرى الشافعى صدر الديار المصرية ورئيسها، عزل عن القضاء فى عهد المنصور وتولى الوزارة وذلك فى سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م فى عهد الظاهر بيبرس وفى سنة ٦٥٨هـ تولى منصب قاضى القضاة، وفى شهر شوال من نفس السنة عزل ابن بنت الأعز من منصب قاضى القضاة، وفى سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م كان ابن بنت الأعز فى منصب قاضى القضاة، توفى سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٤١، ٤٢، ١١٤، ١١٩، ١٢١، ١٢٣.

(٤) ناظر الخزانة: هو من ينظر فى الأموال ويتفقد صرفها ويرفع إليه حسابها لينظر فيه ويدققه فيمضى ما يمضى ويرد الباقى، محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، ص١٥٠.

(٥) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٤١ .

(٦) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٤١ .

بدر الدين بيدرا إليها، وكان حينئذ أمير مجلس ثم نقل إلى الأستادارية مع الوزارة، واستقر كذلك كما يذكر المقريزى: "إلى آخر الدولة المنصورية "[1]

وقد أورد النويرى أن بيدرا نقل إلى الوزارة من الأستادارية لا معها، وتعد الأستادارية من وظائف أرباب السيوف أيضاً شأنها فى ذلك شأن وظيفة إمرة مجلس التى سبق ذكرها وموضوعها "التحدث فى أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان، وهو الذى يمشى بطلب السلطان، ويحكم فى غلمانه وباب داره، وإليه أمر الجاشنكيرية[2] وإن كان كبيرهم نظيره فى الإمرة من ذو المنين . وله حديث مطلق وتصرف تام فى استدعاء ما يحتاجه كل من فى بيت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك للمماليك وغيرهم ، وقد جرت العادة أن يكونوا اربعة: واحد مقدم ألف وثلاثة طبلخاناه[3]، وربما نقصوا عن ذلك[4].

وفى السنة نفسها ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م عزل السلطان المنصور قلاوون الأمير علم الدين سنجر المنصورى المعروف بالشجاعى عن الوزارة ونقم عليه ظلمه للرعية وامتلاء سجونه من المصادرين وتناسيه إياهم شهورا وسنين فعزله وأدبه وصادره وقلد الأمير بدر الدين بيدرا الوزارة وكان يباشر أستاذية الدار بعد أن كان أمير مجلس وكان لطيف الطباع جيد الكتابة وأمره بالإفراج عن المسجونين والتنفيس عن المضيقين. فتضاعفت الأدعية الصالحة لدولته واجتمعت القلوب على محبته وطابت الخواطر بما أظهر بيدرا من لين عريكته وسهولته فى وزارته . [5]

ويذكر المقريزى فى أحداث سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م ما نصه "فى يوم الخميس عاشر المحرم خيم السلطان بظاهر القاهرة ، ورحل فى خامس عاشره. واستخلف ابنه الملك الأشرف خليل [6] بالقلعة، والأمير بيدرا نائباً عنه ووزيراً، وكتب عند الرحيل الى سائر ممالك الشام بتجهيز العساكر لقتال طرابلس ، وسار إلى دمشق فدخلها فى ثالث عشر صفر، وخرج منها فى العشرين منه إلى طرابلس فنازلها ... حتى افتتحها عنوة .. وعاد السلطان إلى دمشق فى نصف جمادى الأولى .. وخرج السلطان من دمشق فى ثانى شعبان ... فدخل السلطان قلعة الجبل فى آخر شعبان" [7] ، وفى نفس العام فوضت نيابة السلطنة إلى الأمير بدر الدين بيدرا المنصورى . [8]

ويذكر ابن الوردى: ثم دخلت سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م فى السادس من ذى القعدة توفى السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى، حيث كان قد مرض فى

---

(١) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٤٢ .

(٢) الجاشنكيرية: موضوعها الإشراف على المطبخ السلطانى والسماط مع الأستادار ويقف على السماط مع أستادار الصحبة وأكبرهم يكون من الأمراء المقدمين، والجاشنكير هو المتصدر بتذوق الطعام قبل ان يتناوله السلطان خشية ان يدس له السم . القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص٢١ .

(٣) طبلخاناه: هم من الأمراء مقدمى الألوف وهم الذين تدق لهم الطبول تشريفا لهم أثناء سيرهم فى المواكب . القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢؛ عبد المنعم ماجد: نظم المماليك ورسومهم، ج١، ص٢٩-٣٠؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، ص١٠٦.

(٤) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠ .

(٥) بيبرس المنصورى: التحفة المملوكية ، ص١١٩.

(6) Setton: A History of Crusades II, Pensylvania, 1958, P. 595.

(٧) المقريزى: السلوك، ج١ق٣، ص٧٤٦-٧٤٩ ؛ King: Op. Cit., PP.291-292

(٨) بيبرس المنصورى: التحفة، ص١٢٥.

العشر الأواخر من شوال وتزايد به المرض حتى توفى يوم السبت السادس من ذى القعدة وكان ملكه يوم الأحد الثانى والعشرين من رجب سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م فمدة ملكه نحو إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وأيام [١]، وأورد المقريزى عند ذكره موت السلطان المنصور قلاوون "وكانت مدة سلطنته إحدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوماً .. ووزر له الصاحب برهان الدين خضر السنجارى مرتين، وفخر الدين إبراهيم بن لقمان ، ونجم الدين حمزة الأصفونى، وقاضى القضاة ابن بنت الأعز ، ثم الأمير علم الدين سنجر الشجاعى - وكان يلى شد الدواوين[٢] فإذا لم يكن فى الدولة وزير تحدث فى الوزارة، ثم استقل بالوزارة بعد الأصفونى ، وكان جباراً عسوفاً مهيباً يجمع المال من غير وجهه، فكرهه كل أحد وتمنوا زوال دولة المنصور من أجله - ، ثم الأمير بدر الدين بيدرا ، ومات المنصور وبيدرا وزير [٣].

المحور الثانى: الأمير بدر الدين بيدرا فى سلطنة الأشرف خليل (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م)

ذكر ابن حبيب عندما تحدث السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون ضمن أحداث سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م ما نصه "ولى أمر الملك بالديار المصرية والبلاد الشامية وما مع ذلك من النواحى الإسلامية، وجلس على التخت ، وركب بشعار السلطنة فى ذى القعدة من هذه السنة، بعد وفاة والده رحمه الله تعالى. وفى الشهر المذكور ولى الأمير بدر الدين بيدر -بيدرا- المنصورى نيابة السلطنة بالديارمصرية ، عوضاً عن الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى[٤] بحكم القبض عليه لأمر اقتضى ذلك، ثم توفى، ولم يكن له نظير فى معرفته وذكائه وشجاعته وإقدامه وحسن تدبيره، ذكر أنه خلف من الذهب خاصة ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار" [٥] ، ويذكر ان السلطان الملك المنصور قلاوون قال لولده الأشرف هذا طرنطاى لا تؤذه ولا تتعرض له فإنه ما يؤذيك، وهذا لاجين لا تمسكه وإن أمسكته لا تبقه فإنه يحقد عليك ويعمل على قتلك فخالف الأشرف والده فى الشخصين، فأول ما تسلطن أمسك طرنطاى

---

(١) ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ج٢، ص٢٢٨.

(٢) شد الدواوين: أى فتشها وضبط حسابها وشاد هو المفتش تضاف الكلمة باسم الوظيفة مثل شاد الزكاة وشاد الأحباس أى ناظر الأوقاف أو مديرها وشاد الشون وهو قائد الأسطول والمسئول عنه والوظيفة (شاديه). محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، ص٩٥ .

(٣) المقريزى: السلوك، ج١ ق٣، ص٧٥٥ .

(٤) الأمير حسام الدين طرنطاى: الأمير حسام الدين طرنطاي المنصورى نائب السلطان المنصور قلاوون، قاد عسكر السلطان إلى حصن الكرك سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م وظل طرنطاى فى منصبه حتى تولى السلطنة الأشرف خليل سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م وبعد أيام قلائل قبض الأشرف خليل عليه وصادر أمواله، وعزله من منصبه وأسند المنصب إلى بدر الدين بيدرا المنصورى، بيبرس المنصورى: التحفة المملوكية، ص١٢٥؛ الذهبى: تذكرة الحفاظ دراسة وتحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج٥، ص ٢٣ .

(٥) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج١، ص١٣٦، ابن دقماق: الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج٢، ص١٠٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤، ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٩٣، ٣٧٧ .

وقتله، وأمسك لاجين وأطلقه فقتله، وقيل أنه قتل الأشرف لانه تعرض لزوجته بنت طقصوا فعز عليه ذلك[1]

وفى يوم الجمعة الثانى عشر من شهر شوال سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م بعد الصلاة كان الأشرف قد خلع على سائر أرباب الدولة، وركب بشعار السلطنة ، وسير إلى الميدان الأسود تحت القلعة بالقرب من سوق الخيل والأمراء والعساكر فى خدمته وعاد إلى القلعة قبل العصر مسرعاً ، فإنه بلغه أن الأمير حسام الدين طرنطاى يريد الفتك به إذا قرب من باب الإسطبل ، وبادر الأشرف بطلب طرنطاى، فمنعه الأمير زين الدين كتبغا[2] أن يدخل إليه وحذره منه ، فقال كما أورد المقريزى "والله لو كنت نائماً ما جسر خليل ينبهنى "، وغره إعجابه بنفسه وكثرة أيام سلامته ، ودخل ومعه الأمير زين الدين كتبغا. فعندما وصل إلى حضرة الأشرف قبض عليه وعلى كتبغا وسجنا ، وقتل طرنطاى فى يوم الاثنين خامس عشره (شوال) وقيل يوم الخميس ثامن عشره بعد عقوبة شديدة . . "[3]

ويضيف المقريزى "وكان سبب قتله كراهة الأشرف له من أيام أبيه، فإن طرنطاى كان يطرح جانب الأشرف، ويهين نوابه ومن ينسب إليه، ويرجح أخاه الملك الصالح عليه"[4] ويذكر المقريزى أيضاً : "وتحدث الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى النيابة بعد طرنطاى، من غير أن يخلع عليه، ولا كتب له تقليد النيابة. ثم استقر فى نيابة السلطنة الأمير بدر الدين بيدرا، وخلع عليه "[5].

وفى سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م كان الأمير سنجر الشجاعى قد عين فى الوزارة خلال عهد الأشرف من غير أن يخلع عليه أو يكتب له تقليداً . فلما كان يوم الخميس الثانى عشر من شهر رمضان: استقر ابن السلعوس[6] فى الوزارة، وخلع عليه، وفوض إليه سائر أمور الدولة، وكان معه عدد من المماليك السلطانية فى خدمته، ويترجلون فى ركابه، ويقفون بين يديه، ويمتثلون أمره فتمكن تمكناً لم يتمكنه وزير قبله فى دولة المماليك[7].

---

(١) الصفدى: أعيان العصر، ج٢، ص٢٤١ .

(٢) الأمير كتبغا المغلى المنصورى زين الدين الملك العادل، تم أسره من معسكر هولاكو سنة ٦٤٨هـ/ ١١٥٠م واشتراه الملك المنصور وتنقلت به الأحوال وعظم فى دولته ثم إزداد عظمة فى دولة الأشرف خليل حتى كان ممن باشر قتل بيدرا، ولى النيابة لناصر محمد بن قلاوون فى سلطنته الأولى وكان هو الملك فى الحقيقة وصار على سنجر الشجاعى فحاربه عدة أيام وانتصرت البرجية للشجاعى ثم قبض عليه وقتل، وبعد سنة واحدة استقل كتبغا وتسلطن ولقب بالعادل وذلك فى المحرم سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م. ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، حيدر آباد، الهند ، ج٤ ، ص٣٠٦ .

(٣) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٥٦-٧٥٧ .

(٤) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٥٧ .

(٥) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٥٩ .

(٦) ابن السلعوس: على بن أحمد بن عثمان بن أبى الرجاء بن أبى الزهر بن أبى القاسم التنوخى علاء الدين بن السلعوس ولد سنة ٨٩هـ/٧٠٧م ، تولى الوزارة خلال عهد الأشرف خليل بن قلاوون بعد عزل سنجر الشجاعى من هذا المنصب وشجع ابن السلعوس على القتل والمصادرات حتى عم الخوف وانتشر الرعب بين كبار الأمراء، ومات فى أواخر جمادى الأولى سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م . العسقلانى: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج٤، ص ٢٢.

(٧) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٦١، أبو الفدا: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٤، ص٢٠٩، ابن حجر: العبر فى خبر من غبر، ج٣، ص٣٧١ .

وعن علاقة ابن السلعوس بالأمير بيدرا يذكر المقريزى ان ابن السلعوس تعاظم فى نفسه واستخف بالناس وتعدى طور الوزراء، فكان أكابر الأمراء يدخلون إلى مجلسه فلا يستكمل قائماً لأحد منهم ، ومنهم من لا يلتفت إليه، وإذا استدعى أميرا قال: "فلان أمير جاندار[1] أو فلان الأستادار باسمه من غير نعته. ثم ترقى حتى استخف بنائب السلطنة الأمير بيدرا وعارضه، وتحدث فيما يتحدث فيه، فلم يقدر على إظهار الغضب لما يعلم من ميل السلطان إليه"[2]

ويرد ذكر بيدرا النائب عندما أفرج السلطان الملك الأشرف عن الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى حيث كان الملك المنصور قلاوون قد اعتقله فى أوائل حكمه ، فأفرج الأشرف خليل عنه، وكتب إفراجه وجعل فى كيس حرير أصفر، وختم عليه بخاتم السلطان، وتوجه به إلى الجب [3] الأمير بدرالدين بيدرا النائب والأمير زين الدين كتبغا وعدة من الأمراء، وأخرجوه وقرأوا عليه الإفراج، وأحضروا تشريفة وهموا بكسر قيده، فقال "لايفك القيد من رجلى، ولا ألبس التشريف، إلا بعد أن أتمثل بين يدى السلطان"[4].

ويتبين من سياق الأحداث التاريخية أن النائب بيدرا تشفع فى قاضى القضاة ابن بنت الأعز لدى السلطان الأشرف على الرغم من الشحناء التى كانت بينه وبين ابن بنت الأعز، وتفصيل ذلك ان السلطان عزم على صرف قاضى القضاة عن وظيفة القضاء وسائر ما بيده من المناصب، وذلك بكثرة حقد الوزير ابن السلعوس عليه[5].

وخرج البريد فى اليوم التاسع من رمضان سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م بطلب بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة[6] خطيب القدس، ليلى القضاء بمصر،

---

(١) أمير جاندار: "موضوع أمير جاندار التسلم لباب السلطان ولرتبة البرددارية وطوائف الركابية والحرامانية والجندارية وهو الذى يقدم البريد إذا قدم الدوادار وكاتب السر وإذا أراد السلطان تقرير أحد من الأمراء على شئ أو قتله بذنب كان ذلك على يد أمير جاندار وهو أيضاً المتسلم للزردخاناه وكانت أرفع السجون قدرا .. وهو الذى يدور بالزفة حول السلطان فى سفره مساء وصباحاً". المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م، ج٢، ص ٢٢٢.

(٢)المقريزى: السلوك، ج١ق٣، ص٧٦١-٧٦٢

(٣) الجب بقلعة الجبل: "هذا الجب كان بقلعة الجبل يسجن فيه الأمراء وابتدئ عمله فى سنة إحدى وثمانين وستمائة والسلطان حينئذ الملك المنصور قلاون ولم يزل إلى أن هدمه الملك الناصر محمد بن قلاون فى يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة". المقريزى: الخطط، ج٢، ص ١٨٨-١٨٩.

(٤)المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٦٩-٧٧٠ .

(٥) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٧١-٧٧٣ .

(٦) بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة: وتوفى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموى الشافعى في حادى عشر جمادى الأولى وهو معزول بعد ماعمى، مولده بحماة في سنة تسع وثلاثين وستمائة وهو والد قاضى قضاة الديار المصرية عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وكان إماما عالما مصنفا أخذ النحو عن ابن مالك وأفتى قديما وعرضت فتواه على الشيخ محيى الدين النووى فاستحسن ما أجاب به، وتولى قضاء القدس والخطابة بها، ثم نقل إلى مصر فولى قضائها بعد عزل تقى الدين ابن بنت الأعز في أوائل سنة تسعين وستمائة. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٢٩٨ .

وكان السبب فى طلبه أن ابن بنت الأعز لما عزل استدعى السلطان أعيان الفقهاء الشافعية بمصر والقاهرة، وجعل كل واحد فى مكان فلم يعلم واحد منهم بالبقية. وأحضرهم واحدا واحدا وسأله عن الجماعة من يصلح فيهم لولاية القضاء، فما منهم إلا من أساء القول فى أصحابه ورماه بما لا يليق، فانصرفوا وقد عزف السلطان عن تعيينهم فى هذا المنصب، وأخبر وزيره ابن السلعوس بما قال بعضهم فى حق بعض من الفحش فأشار الوزير بولاية ابن جماعة لصحبة بينهما، فوصل ابن جماعة إلى القاهرة فى يوم الإثنين رابع عشر رمضان وأفطر عند الوزير ، وبالغ الوزير فى خدمته ، وسار فى موكبه يوم الخميس السابع عشر من رمضان إلى القلعة؛ ودخل على السلطان فعزل ابن بنت الأعز، وعين ابن جماعة قضاء القضاة، وفوض إلى تدريس المدرسة الصالحية بين القصرين وخطابة الجامع الأزهر، فكتم ابن جماعة الولاية، وأفطر ليلة الجمعة عند الوزير، فصار يخاطبه بقاضى القضاة، وأعلن بعزل ابن بنت الأعز فهنأ الناس ابن جماعة، ولبس الخلعة يوم الجمعة، ومشى الشهود فى خدمته فركب بالخلعة إلى دار الوزير وخدمه، ثم سار إلى منزله، وركب إلى الجامع الأزهر بالخلعة، فخطب وصلى بالناس وعاد إلى منزله، ثم تحول إلى المدرسة الصالحية، ودرس بها فى يوم الأحد الثانى عشر من شوال[1]، وكان الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى[2] أمير سلاح له عناية لابن بنت الأعز، فتحدث مع الأمير بيدرا النائب، وكان بيدرا بينه وبين ابن بنت الأعز شحناء، فقال بيدرا لبكتاش : "تحدثت مع السلطان فى أمر سنجر الحموى أبى خرص أن يطلقه وأنا أشفع فى ابن بنت الأعز". فاتفقا على ذلك، وشفع بيدرا فى ابن بنت الأعز، وشفع بكتاش فى أبى خرص، فأفرج السلطان عنهما معا. ولزم ابن بنت الأعز داره ولم يترك بيده شيئ من الوظائف ، وكان بيده سبعة عشر منصباً: وهى قضاء القضاة بديار مصر كلها ، وخطابة الجامع الأزهر، ونظر الخزانة، ونظر الأحباس ، ومشيخة الشيوخ، ونظر التركة الظاهرية بيبرس وأولاده وأوقافه وأملاكه وعدة تداريس. وكان عندما عزل قد رسم عليه فى شوال، وألزم بالإقامة فى زاوية الشيخ نصر المنبجى خارج القاهرة حتى قام بما قرر عليه من المال، بعدما باع ورهن واقترض ثم انتقل إلى القرافة إلى أن تحدث له الأمير بدر الدين بيدرا فى تدريس المدرسة الناصرية[3] بجوار ضريح الامام

---

(١) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٧١-٧٧٢ .

(٢) الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى: الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح الصالحي النجمي. أصله من مماليك الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، وصار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، فترقى في الخدمة حتى صار من أكبر الأمراء، وخرج إلى الغزاة غير مرة، وعرف بالخير وعلو الهمة وسداد الرأي وكثرة المعروف ولما قتل المنصور لاجين أجمعوا على سلطنته فأبى. وأشار بعود الناصر محمد بن قلاوون فأعيد، ومات بعدما استرجع إقطاعه بالقاهرة في ربيع الأول، عن ثمانين سنة، وهو آخر الصالحية، وإليه ينسب قصر أمير سلاح بالقاهرة. المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص ٣٤٧ .

(٣) المدرسة الناصرية: ذكرها المقريزى عند ذكره الجامع بجوار تربة الشافعى بالقرافة فقال "هذا الجامع كان مسجداً صغيراً فلما كثر الناس بالقرافة الصغرى عندما عمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المدرسة بجوار قبر الإمام الشافعى ﷺ وجعل لها مدرساً وطلبة". المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٩٦.

الشافعى[1]، فوليه وتحول إلى المدرسة المذكورة، فكان هذا سببا لمحنته الثانية. ويقال إنه حمل من جهته مبلغ ثمانية وثلاثين ألفا. [2]

وفى ليلة الاثنين الرابع من ذى القعدة عمل ختم بالقبة المنصورية، حضره الأمير بيدرا النائب والوزير شمس الدين بن السلعوس، ونزل إليه السلطان والخليفة بكرة يوم الاثنين من شهر ذى القعدة سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، فخطب الخليفة وعليه سواده خطبة بليغة حرض فيها على أخذ العراق، وكان يوما مشهودا، وزعت فيه الصدقات الجمة، وكتب إلى نائب الشام بعمل ختم، فاجتمع الناس فى ليلة الثلاثاء الحادى عشر من ذى القعدة بالميدان الأخضر خارج دمشق، وختموا القرآن، وحضر الوعاظ والأعيان[3].

وفى شعبان من سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م خرج الأمير بدر الدين بيدرا النائب ومعه معظم العسكر إلى جبال كسروان من جهة الساحل، فلقيهم أهل الجبال وعاد بيدرا شبه منهزم، واضطرب العسكر اضطراباً عظيماً، فطمع أهل الجبال فيهم وحقدوا على بيدرا واتهموه أنه أخذ منهم الرشوة ، فلما عاد بيدرا إلى دمشق تلقاه السلطان وترجل له عند السلام عليه، وعاتبه سرا فيما كان منه، فمرض بيدرا حتى أشرف على الموت، وأشيع أنه سقى السم، ثم عوفى وتصدق فى رمضان بصدقات جمة، ورد أملاكاً كان قد اغتصبها من أصحابها، وأطلق سراح عدد من المسجونين، وجمع الناس فى عاشره بجامع بنى أمية وعمل مقرأة لختم القرآن. [4]

وفى أول المحرم من سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م أخرج من الجب الأمراء : سنقر الأشقر وجرمك والهارونى وبكتوت وبيبرس ولاجين وطقصوا ولاجين، وأمر بخنقهم أمام السلطان فخنقوا بأجمعهم حتى ماتوا، وتولى خنق لاجين الأمير قرا سنقر، فلما وضع الوتر فى عنقه انقطع، فقال: "يا خوند! مالى ذنب إلا حميّ طقصوا وقد هلك وانا أطلق ابنته"، وكان قرا سنقر له به عناية، فتلطف به ولم يعجل عليه، لما أراد الله من أن لاجين يقتل الأشرف ويملك موضعه، وانتظر أن تقع به شفاعة فشفع الأمير بدرالدين بيدرا فى لاجين، وساعده من حضر من الأمراء فعفى عنه ظناً أنه لا يعيش [5].

وفى الرابع من المحرم سنة٦٩٢هـ/١٢٩٢م سار السلطان من قلعة الجبل إلى الصعيد، واستخلف الأمير بيدرا النائب بقلعة الجبل وهو مريض، فوصل السلطان إلى

---

(١) ضريح الإمام الشافعى: ذكره المقريزى عند ذكره القرافة فقال "واعلم أن الناس فى القديم إنما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم واتخذوا الترب الجليلة أيضا فيما بين مصلى خولان وخط المغافر التى موضعها الآن كيمان تراب وتعرف الآن بالقرافة الكبرى فلما دفن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ابنه فى سنة ثمان وستمائة بجوار قبر الإمام محمد بن إدريس الشافعى وبنى القبة العظيمة على قبر الشافعى وأجرى لها الماء من بركة الحبش بقناطر متصلة منها نقل الناس الأبنية من القرافة الكبرى إلى ما حول الشافعى وأنشأوا هناك الترب فعرفت بالقرافة الصغرى". المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٤٤٤.

(٢) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٧٣ .

(٣) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٧٤ .

(٤) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٧٩؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٥٢؛ ابن قدامة: العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام احمد بن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربى، بيروت ، ج١، ص٩٤ .

(٥) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٨٢-٧٨٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٣٧

مدينة قوص، ونادى هناك بالتجهيز لغزو اليمن[1]. وكشف الوزير السلعوس الوجه القبلى، فوجد الجارى فى ديوان الأمير بيدرا من الجهات -عما هو فى إقطاعاته، وما اشتراه وما حماه- أكثر مما هو جار فى الخاص السلطانى، ووجد الشون السلطانية بالوجه القبلى خالية من الغلال وشون بيدرا مملوءة بالغلال، فأبلغ ذلك الى السلطان وأغراه بالأمير بيدرا حتى تغير عليه السلطان ، فلما بلغ الخبر بيدرا خاف وأخذ يتلافى الأمر، وذلك بتجهيز تقدمة جليلة منها خيمة أطلس أحمر بأطناب حرير وأعمدة من أخشاب الصندل محلاة ومطعمة بالفضة والذهب وبسطها من حرير، وضربها بناحية العدوية[2]، بجانب ما أعده من أشياء أخرى، فلما رجع السلطان نزل بها ولم يهتم بالتقدمة التى أعدها بيدرا وطلع إلى القلعة وأعاد عدة جهات من بيدرا للخاص السلطانى[3].

وفى نفس السنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م شفع بدر الدين بيدرا فى حسام الدين لاجين فأفرج عنه السلطان وأعطاه مائة فارس ووهبه لبيدرا وقال له لما خرج من السجن وجى به ليقبل الأرض بين يديه: "أن بيدرا شفع فيك وقد وهبتك له حقا وصرت له رقا"[4].

وفى صفر من سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م رسم السلطان بتجهيز العساكر إلى دمشق فسار بها الأمير بيدرا ، ثم سار الوزير بالخزائن ، وركب السلطان على الهجن فى أول جمادى الأولى ومعه جماعة من أمرائه وخواصه، وسار إلى حصن الكرك من غير الطريق الذى يصل إلى الشام فرتب أحوالها، واتجه إلى دمشق، فوصلها فى التاسع من جمادى الآخرة وذلك بعد وصول الأمير بيدرا والوزير بثلاثة أيام، فأمر بتجهيز العسكر إلى بهسنا وأخذها من الأرمن أهل سيس، فقدم رسل سيس يطلبون العفو، فاتفق الحال معهم على تسليم بهسنا ومرعش وتل حمدون فسار الأمير طوغان والى البر بدمشق معهم ليتسلمه، وذلك فى أول رجب فدقت البشائر، واستقر الأمير بدر الدين بكتاش الزردكاش فى نيابة بهسنا وعين لها قاض وخطيب.[5]

وفى شهر ذى الحجة من السنة نفسها رسم السلطان بعمل المهم لختان الأمير ناصر الدين محمد أخيه، فنصب القبق[6] تحت القلعة مما يلى باب النصر فى العشرين منه، ووزعت الأموال والخلع على من أصاب فى رمى القبق، وكان قد رسم بعرض العساكر بحضور الأمير بيدرا، فأقامت فى العرض أياما، فرمى بيدرا بتغاضيه ، وأن

---

(١) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٧٤

(٢) العدوية: بلدة صغيرة خارج القاهرة كانت بالقرب من بركة الحبش تقع بينها وبين طرد على ضفة النيل الغربية . ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار فى تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت. ج٥، ص٤٣ .

(٣) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٨٣ .

(٤) بيبرس المنصورى: التحفة، ص١٣٤ .

(٥) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٨٤ .

(٦) القبق: ولعبة القبق نوع من التدريب على الرماية، وهي من ألعاب الفروسية. وطريقتها نصب صار طويل من الخشب في رأسه شكل قرعة (وهو أصل معنى قبق) بمثابة الهدف ويوضع به حمام، ثم يأتي اللاعبون على ظهور الخيل يرمون القبق، القرعة، بالنشاب وفائز من يطير الحمام وقد يستبدل بالقرعة حلقة من الخشب. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٤٩؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص ١٧٢؛ بدر الدين العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. ج١. ص ١٣٧.

بعض العسكر يستعير العدة، فرسم بعرض الجميع جملة واحدة، فكان يومًا مشهودًا، وممن أصاب فى رمى القيق الأمير بيسرى، فأنعم عليه بخمسة وثلاثين ألف دينار عينا سوى الخلع وغيرها، وختن الأمير محمد وأولاد الأمراء في يوم الاثنين الثانى عشر من ذى الحجة، ونثر الأمراء الذهب حتى امتلأت الطشوت منه[1].

المحور الثالث: مقتل السلطان الملك الأشرف خليل : (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م)

فى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م أورد ابن حبيب ما نصه " فى شهر المحرم منها قتل السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى ، فتك به بالبلد المعروف بتروجة [2] من جهة البحيرة[3] من الديار المصرية، وهو يتصيد غدرا ، قتله بيدرا نائب مصر، ولاجين نائب دمشق، وقرا سنقر نائب حلب .. ولما قتلوه حلفوا للأمير بيدرا المذكور، وتلقب بالملك الأوحد، لكن لم يتم له الأمر، وقتل عاجلا"[4].

وذكر المقريزى فى ذلك أنه "فى ثالث المحرم (٦٩٣هـ/١٢٩٣م) عدى السلطان النيل إلى بر الجيزة يريد البحيرة للصيد ، ومعه الأمير بيدرا والوزير ابن السلعوس ، واستخلف بقلعة الجبل الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ، وقد اشتدت العداوة بين الأمير بيدرا وبين ابن السلعوس. فوصل السلطان إلى تروجة ونزل بها ، وتوجه الوزير إلى الإسكندرية ليعبى القماش ويحصل الأموال، بعدما خلع السلطان عليه طرد وحش. فوجد

---

(١) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٨٥-٧٨٦.

(٢) تروجة (ترنجة): هى إحدى قرى محافظة البحيرة بأبى المطامير، ذكرها محمد رمزى فقال "تروجة هى من البلاد المصرية القديمة" بدأ ظهورها على مسرح الأحداث السياسية منذ ١١٨هـ/ ٧٣٦م وذلك حين هاجمها الروم وحاصروها ثم انصرفوا عنها، ثم أقبلت سفنهم ثانية وأسروا بعض أهلها، محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ج٢، ق٢، ص ٢٣١-٢٣٢؛ محمد محمد زيتون: إقليم البحيرة، الإسكندرية، ١٩٦٠م، ص ١٧٧؛ عبد الله كامل موسى عبده: سرحة البحيرة ومتنزه الطرانة وتروجة حتى بداية العصر العثمانى، مجلة التاريخ والمستقبل، جامعة المنيا، عدد يوليو ٢٠٠٨م، ص ٥١١.

(٣) البحيرة: تعد البحيرة العمل الرابع ضمن خمسة أعمال فى الوجه البحرى كما أورد القلقشندى، ذكرها ابن عبد الحكم فقال " وكانت بحيرة الإسكندرية: كرما كلها لامرأة المقوقس فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر .. فقالت لا حاجة لى فى الخمر أعطونى دنانير فقالوا ليس عندنا فأرسلت عليهم المال فغرقتها فصارت بحيرة .. حتى استخرجها بنو العباس فسدوا جسورها وزرعوا فيها". وذكرها ياقوت الحموى فقال "بحيرة الإسكندرية: هذه ليست بحيرة ماء وإنما هى كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع، ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، صفحات من تاريخ مصر (١٠)، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ص ٧، ٧٦ ؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ٣٥١؛ القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ج٤، ص ٦٩-٧١؛ عبد الله كامل موسى عبده: سرحة البحيرة ومتنزه الطرانة وتروجة حتى بداية العصر العثمانى، ص٥٠٥.

(٤) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج١، ص ١٦٧، ١٦٨، وانظر أيضا ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مج٥، ق٤، ص ٤٨٣.

الوزير أن نواب بيدرا قد استولوا على المتاجر والاستعمالات[1]، فكتب يعرف السلطان ذلك ويغريه ببيدرا، وأنه لم يجد بالثغر ما يكفى الإطلاقات على جارى العادة. فاشتد غضب السلطان، وطلب بيدرا وسبه بحضرة الأمراء، وتوعده بأنه لابد أن يمكن ابن السلعوس من ضربه بما لا يذكر. فتلطف بيدرا حتى خرج إلى مخيمه وقد اشتد خوفه، فجمع أعيان الأمراء من خشداشيته ومنهم الأمير لاجين والأمير قرا سنقر ومن يوافقه، وقرر معهم قتل السلطان ، فانه كان قد أذن للأمراء الأكابر أن يخرجوا إلى إقطاعاتهم فساروا إليها وبقى فى خواصه إلى يوم تاسوعاء. – التاسع من شهر المحرم –فتوصل الأمير بيدرا إلى أن أشير على السلطان بتقدم العسكر إلى القاهرة [2]، فبعث الأمير سيف الدين أبا بكر بن الجمقدار نائب أمير جاندار إلى بيدرا يأمره أن يسير تحت الصناجق بالأمراء والعسكر فلما بلغه نائب أمير جاندار الرسالة نفر فيه، ثم قال له السمع والطاعة وقد تبين الغضب فى وجهه، فرجع ابن أمير جاندار وحمل الزردخاناه وسار، ورحل الدهليز [3] والعسكر . وأصبح السلطان يوم عاشوراء، فبلغه أن بتروجة طيراً كثيراً، فساق وضرب حلقة صيد، وعاد إلى مخيمه آخر النهار، ثم لما كان الحادى عشر توجه الناس إلى القاهرة. وحضر بيدرا ومن قرر معه قتل السلطان إلى الدهليز ، فلم يخرج السلطان وأعطاهم دستوراً، فتوجهوا إلى خيامهم . وركب السلطان جريدة وليس معه سوى الأمير شهاب الدين أحمد بن الأشل أمير شكار[4]، وأراد أن يسبق الخاصكية، فرأى طيرًا فصرع منه بالبندق شيئا كثيرًا ثم التفت إلى أمير شكار وقال :"أنا جيعان، فهل معك ما آكل؟" فقال: "والله ما معى غير رغيف واحد وفروج فى صولقى [5] ادخرته لنفسى" فقال: "ناولنيه" فناوله ذلك فأكله كله. ثم قال له ... فلما كان وقت العصر بعث بيدرا من كشف له خبر السلطان، فقيل له ليس معه أحد .. فلم يشعر السلطان الإبغبار عظيم قد ثار، فقال لأمير شكار: "اكشف خبر هذا الغبار". فساق إليه فوجد الأمير بيدرا وجماعة من الأمراء، فسألهم فلم يجيبوه. ومروا فى سوقهم حتى وصلوا إلى السلطان وهو وحده، فابتدر بالسيف وضربه أبان يده ، ثم ضربه ثانيا هد كتفه، فتقدم الأمير لاجين إليه وقال له : "يا بيدرا! من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته" ، وضرب السلطان على كتفه حله، فسقط على الأرض ، فجاءه بهادر رأس نوبة وأدخل السيف فى دبره، واتكأ عليه إلى أن اخرجه من حلقه. وتناوب الأمراء ضربه بالسيوف: وهم قرا سنقر ، وأقسنقر الحسامى، ونوغاى، ومحمد خواجا، وطرنطاى الساقى، والطنبغا رأس نوبة، وذلك فى يوم الاثنين ثانى عشر

---

(١) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٨٣؛ أنظر أيضا: الصفدى: الوافى، ج١٣، ص٢٥٠.

(٢) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٨٣؛ للمزيد أنظر: الصفدى: الوافى، ج١٣، ص٢٥٠.

(٣) الدهليز: المقصود به خيمة السلطان التى تعد لمرافقته فى الحروب أو الصيد أو التنزه ويستعمل اللفظ حاليا لممر يقع داخل المنزل تغطى بنار فوقها ليصل إلى فسحة المنزل. أحمد دهمان: معجم الألفاظ، ص٧٧.

(٤) أمير شكار: لقب للذى يتحدث عن الجوارح من الطيور وغيرها، وساتر أمور الصيد، وشكار بالكسر معناه الصيد بالفارسية. محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، ص ٢٠ .

(٥) أبو الفدا: المختصر، ج١، ص٤٨٠، ابن الوردى: تاريخه، ج٢، ص٢٣١، المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٨٣ .

المحرم"[1]، فبقى الملك الأشرف ملقى فى المكان الذى قتل به يومين ، ثم جاء الأمير عز الدين أيدمر العجمى والى تروجة فوجد جثة السلطان فحمله على جمل إلى دار الولاية، وغسله فى الحمام وكفنه ، وجعله فى بيت المال بدار الولاية إلى أن قدم الأمير سعد الدين كوجبا الناصرى من القاهرة، وحمله فى تابوته الذى كان فيه إلى تربته بالقرب من المشهد النفيسى ظاهر مصر، ودفنه بها سحر يوم الجمعة ثانى عشرى صفر.[2]

- سلطنة بيدرا (الملك الأوحد أو المعظم أو القاهر) :

ذكر المقريزى "فلما قتل بيدرا السلطان عاد بمن معه من الأمراء، ونزل بالدهليز وجلس فى دست السلطنة، وقام الأمراء فقبلوا الأرض بين يديه وحلفوا له، وتلقب بالملك الأوحد – وقيل المعظم، وقيل الملك القاهر. ثم قبض بيدرا على الأمير بيسرى والأمير بكتمر السلاح دار أمير جاندار، وقصد قتلهما ثم تركهما تحت الاحتياط بشفاعة الأمراء فيهما، وركب إلى الطرانة[3] فبات بها" [4].

وفى نهاية الأمر نجد أن بعض المؤرخين ذكر بيدرا ضمن قوائم السلاطين المماليك والبعض الآخر لم يذكره ولذا يجب توضيح هذا الأمر.

فنجد أن الذى ذكره ضمن السلاطين يستند إلى بعض إشارات السلطنة التى تحققت لبيدرا منها مبايعة الأمراء له، ومن أهمهم: الأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة ، والأمير جمال الدين أقش الموصلى الحاجب، والأمير حسام الدين طرنطاى الساقى. والأمير نوغاى السلاح دار، والأمير سيف الدين الناق الساقى السلاح دار، والأمير سيف الدين أروس الحسامى السلاح دار، والأمير علاء الدين الطنبغا الجمدار، والأمير أقسنقر الحسامى، والأمير ناصر الدين محمد بن خواجا، والأمير قوش قرا السلاح دار، حيث كان هذا بديلاً عن الوراثة ولكى يأمن السلطان منافسة الأمراء من خشدشيته "زملاءه" حيث كان الحكم للأقوى فقد بايعه من الأمراء سنقر بهادر ...

وأيضاً كان من إشارات السلطنة الألقاب وحدث ذلك بالفعل لبيدرا حيث لقب بالقاهر والأوحد والرحيم وغيرها من الألقاب الأخرى. [5]

---

(١) الصفدى: الوافى: ج١٣، ص٢٥٠.: المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٩٠، ابن حجر: العبر فى خبر من غبر، ج٣، ص٣٨٠ .

(٢) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٩٠، ٧٨٨، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢٤، ٢٥

(٣) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٩١.

(٤) الطرانة (ترنوط): هى إحدى قرى مركز كوم حمادة جنوبى محطة كفر داود، كانت تقع على الطريق البرى الذى يربط بين الإسكندرية والفسطاط بجانب موقعها على الطريق النهرى الذى كان يتصل بخليج الإسكندرية، وقد ذكرها اليعقوبى المتوفى سنة ٢٣٤هـ/ ٨٩٧م كورة ترنوط، وذكرها ابن خرداذبه فى أكثر من موضع ترنوط أيضا، وذكرها ابن حوقل بين أبى يحنس وبستامه على فرع النيل الغربى باسم ترنوط. محمد رمزى: القاموس، ق٢، ج٢، ص ٣٣١؛ محمد محمد زيتون: إقليم البحيرة، ص١٧٦؛ اليعقوبى: كتاب البلدان، السلسلة الجغرافية(٦)، دار إحياء التراث العربى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٩٧؛ ابن خرداذبه: المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبى الفرج بن قدامه بن جعفر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٨٣، ٨٤، ٢٢٠، ٢٤٧؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ليدن، ط٢، ١٩٣٨م، ص١٣٩-١٤٠.

(٥) القلقشندى: صبح الأعشى ، ج٥، ص ٤٩٣؛ المقريزى: السلوك، ج١١، ق٢، ص٤٥٣؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، ص٢٣.

وهناك بعض المؤرخين الذين لم يدرجوا بيدرا ضمن قائمة سلاطين المماليك يستندون فى ذلك إلى عدم حصول بيدرا على بعض رسوم السلطنة ولعل أهمها الحصول على تفويض من الخليفة فكان ذلك من الأمور المهمة حيث تعد سلطنته شرعية، وكان يقام احتفال كبير حيث يركب السلطان إلى الإيوان – وهى القلعة الفخمة ذات الأعمدة – بشعار السلطنة من آلات خاصة وأعلام وأبواق، ويركب فرساً فى عنقه قماش أسود ومشدة، وعليه برذعة سوداء، وقد يصحبه – أمراء المماليك ورجال الدولة، ويكون جلوس السلطان على التخت فى أعلى مكان فيقبل الأمراء الأرض بين يديه ثم يتقدمون إليه ويقبلون يده على قدر مراتبهم.(١)

ويأتى الخليفة ويجلس بجوار السلطان ليلبسه بيده الخلعة وهى عمامة سوداء ومدورة بعذبة ذهب قدر ذراع، وحلة الملك – جبه – وقد يخرج الأمراء ورجال الدولة فى موكب حيث يحمل التقليد فى كيس من الحرير الأسود ويوضع على رأس الوزير.(٢)

ومن أهم إشارات السلطنة الألقاب حيث كان لكل سلطان لقب مثل الناصر، والظاهر، والقاهر، والأشرف وغيرها ... حيث كانت تصك على العملة وتكتب فى المستندات وقد ذكرت المصادر التاريخية أن بيدرا لقب بالقاهر والأوحد والرحيم وغيرها.(٣)

ومما جعل عدم الاعتراف به سلطاناً عدم نقش اسمه على العملة، وعدم ذكر اسمه على الطراز ، وعدم إصدار المناشير مختومة بالعلامة السلطانية (الرنك) باسمه ، وعدم صعوده إلى القلعة وجلوسه على كرسى السلطان(٤)، وهى ما تعد من أهم رسوم السلطنة .(٥)

- مقتل بيدرا بالطرانة:

سار الأمراء والمماليك السلطانية ومعهم الأمير برغلى، وهم الذين كانوا بالدهليز والوطاق، وركبوا فى آثار بيدرا ومن معه يريدون القبض عليه. فبلغ الأمير كتبغا، ومن معه مقتل السلطان وسلطنة بيدرا، فلحق بمن معه الأمير برغلى ومن معه من الأمراء والمماليك، وجدوا بأجمعهم فى طلب بيدرا ومن معه، وساقوا فى تلك الليلة إلى الطرانة، وقد لحق بيدرا بسيف الدين أبى بكر بن الجمقدار نائب أمير جاندار، والأمير

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٩٣؛ المقريزى: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٥٣.
(٢) المقريزى: السلوك، ج٢، ق١، ص٤٨.
(٣) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٩٣؛ المقريزى: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٥٣.
(٤) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٩٣؛ المقريزى: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٥٣.
(٥) من أهم رسوم السلطنة :
١- اختيار الأمراء.
٢- تفويض من الخليفة بالحصول على الخلع والتشريفات.
٣- الصعود إلى الجلسة والصعود على كرسى السلطنة.
٤- الدعاء له على المنابر.
٥- إصدار المناشير بالعلامة السلطانية (الرنك).
٦- نقش اسم السلطان على العملة .
٧- نقش اسم السطان على الطراز.
عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، ص٢٣-٢٤ .

صارم الدين الفخرى[1]، والأمير ركن الدين بيبرس أمير جاندار، ومعهم الزرد خاناه. عند المساء من يوم السبت الذى قتل فيه السلطان، فعندما أدركهم تقدم إليه بيبرس أمير جاندار وقال له: "يا خوند! هذا الذى فعلته كان بمشورة الأمراء؟ "فقال: "نعم ! أنا قتلته بمشورتهم وحضورهم، وها هم كلهم حاضرون". ثم شرع يعدد مساوئ الأشرف ومخازيه واستهتاره بالأمراء ومماليك أبيه، وإهماله لأمور المسلمين، ووزارته ابن السنعوس، ونفور الأمراء منه لمسكه عز الدين الأفرم وقتل سنقر الأشقر وطقصوا وغيره، وتأميره مماليكه، وقلة دينه وشربه الخمر فى شهر رمضان وفسقه بالمردان. ثم سأل بيدرا عن الأمير كتبغا فلم يره فقيل له: "هل كان عند كتبغا من هذه القضية علم؟" قال: "نعم! هو أول من أشار بها" [2]. فلما كان يوم الأحد ثانى يوم قتله الأشرف، وافى الأمير كتبغا فى طلب كبير من المماليك السلطانية – عدته نحو الألفى فارس، وجماعة من الحلقة والعسكر ومعهم الأمير حسام الدين لاجين الأستادار – الطرانة وبها بيدرا يريدون قتاله. وميز كتبغا أصحابه بعلائم حتى يعرفوا من جماعة بيدرا، وهو أنهم جعلوا مناديل من رقابهم إلى تحت آباطهم. فاطلق بيدرا حينئذ الأميرين بيسرى وبكتمر السلاح دار. ليكونا عونا له فكانا عونا عليه. ورتب كتبغا جماعة ترمى بالنشاب، وتقدم بمن معه وحملوا على بيدرا حملة منكرة، وقصد الأمير كتبغا بيدرا، وقد فوق سهمه، وقال: "يا بيدرا! أين السلطان؟" ورماه بسهم وتبعه البقية بسهامهم، فولى بيدرا بمن معه وكتبغا فى طلبه حتى أدركه. وقتل بيدرا بعدما قطعت يده ثم كتفه كما فعل بالأشرف، وحملت رأسه على رمح وبعث بها إلى قلعة الجبل فطيف بها القاهرة ومصر" [3]

ويذكر أبو المحاسن أنه لما قتل السلطان الأشرف بايع الأمراء بيدرا بالسلطنة ولقبوه بالملك الأوحد وبات تلك الليلة، فبان قتل الأشرف كان بين الظهر والعصر، كما يذكر أن الأشرف دفن فى تربة والدته بجوار أخيه الملك الصالح على بن قلاوون[4]، ولكن هناك آراء متعددة تثبت غير ذلك فيذكر ابن اياس فى كتابه بدائع الزهور ان الملك الأشرف خليلا بعد قتله ظل مطروحا فى البرية ثلاثة أيام، وقد أكلت الذئاب جثته إلى أن حمل ما بقى منها الأمير أيدمر الفخرى والى تروجة على جمل وأتى به إلى القاهرة وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه فى مدرسته التى بالقاهرة بالقرب من مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها.[5]

ولكن هناك آراء متعددة تثبت غير ذلك فيذكر المقريزى فى خططه انه بعد مقتل الأشرف خليل دفن بمدرسته الأشرفية ، وذكر ابن دقماق أن المدرسة الأشرفية والتربة بها بالقرب من المشهد. ولا تزال هذه المدرسة موجودة فيها القبة وبها قبر منشئها.

---

(١) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٩١.

(٢) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٩٢.

(٣) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٩١، ٧٩٢ .

(٤) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٩ .

(٥) ابن إياس: بدائع الزهورفى وقائع الدهور، ط٢، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ج١، ص١٢٧ .
ويذكر عبد الله الشرقاوى أنه بعد مقتل الأشرف خليل تولى بعده أخوه الملك القاهر بيدر الذى كان نائبا عنه فاقام يوما واحد وقتل. تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين. ص ١٠١؛ الصفدى: الوافى بالوفيات. ج١٠، ص ٣٦٠؛ الذهبى: تاريخ دول الإسلام، ج٢، ص١٩٥؛ ابن الفرات: تاريخه، ج٨، ص١٨٨.

وتعرف اليوم بقبة الأشرف أو تربة الأشرف بشارع الأشرف بالقاهرة بالقرب من مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها من جهة الشمال، وتوضح الكتابات التى نقشت على الحائط القبلى أسفل القبة من الخارج أنها أنشئت سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م أثناء ولاية الأشرف خليل العهد لأبيه الملك المنصور قلاوون وتمت عمارتها عندما صار سلطانا وهذا يؤكد أن الأشرف دفن فى تربته تحت هذه القبة وليس بتربة والدته كما ذكر أبو المحاسن فهى مشهورة حتى اليوم، وهناك العديد من المؤرخين يؤيدون هذا الرأى[١]، وهناك بعض الآراء حول مقتل الأشرف خليل ودفنه منها ما ذكره أبو المحاسن أن الأمير سعد الدين كوجبا الناصرى وصل إلى تروجة من أجل حمل جثة الأشرف خليل فأخذه فى تابوت ووصل به إلى القاهرة سحر يوم الخميس ثانى عشرين صفر[٢]، وأنه من المعروف أن مقتل الأشرف خليل كان يوم السبت الثانى عشر من المحرم سنة٦٩٣هـ/١٢٩٣م ومن هذا يتضح ان جثة الأشرف خليل ظلت فى تروجة حوالى شهر وهذا ليس بصحيح حيث ان معظم المصادر تؤكد ان جثته ظلت ملقاة بتروجة لمدة ثلاثة أيام وحمله والى تروجة إلى دار الولاية ثم غسله وكفنه وحمل فى تابوت إلى القاهرة ونحن نؤيد هذا الرأى .

ولما خطب للناصر محمد بن قلاوون فى يوم الجمعة الحادى عشر من ربيع الأول سنة٦٩٣هـ/١٢٩٣م وقع الطلب على الأمراء الذين كانوا مع بيدرا فى قتل الأشرف خليل فأول من وجد منهم الأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة ، والأمير جمال الدين أقش الموصلى الحاجب، فضربت أعناقهما وأحرقت أبدانهما فى المجاير (الأفران التى يحرق بها الجير) وذلك فى اليوم الثامن من سلطنة الناصر محمد، ثم أخذ بعدهما سبعة أمراء: وهم حسام الدين طرنطاى الساقى، ونوغاى السلاح دار، وسيف الدين الناق الساقى السلاح دار، وسيف الدين أروس الحسامى السلاح دار، وعلاء الدين الطنبغا الجمدار، وأقسنقر الحسامى، وناصر الدين محمد بن خواجا، ثم قبض على قوش قرا السلاح دار، وذلك فى العشرين من المحرم فسجنوا بخزانة البنود[٣] من القاهرة، وتولى بيبرس الجاشنكير عقوبتهم ليقروا على من كان معهم، ثم أخرجوا يوم الاثنين ثامن عشر من المحرم، وقطعت أيديهم بالساطور على قرم خشب بباب القلعة، وتم تسميرهم على ألواح خشب، ووضعوا على ظهر الجمال وأيديهم معلقة فى أعناقهم، وشقوا بهم ورأس بيدرا على رمح أمامهم شوارع القاهرة ومصر، واجتمع لرؤيتهم من العالم ما لا يمكن حصره بحيث كادت القاهرة ومصر أن تنهبا، ومروا بهم على أبواب دورهم ، فلما جازوا على دار علاء الدين الطنبغا خرجت جواريه حاسرات يلطمن، ومعهن أولاده وغلمانه قد شقوا الثياب وعظم صياحهم، وكانت زوجته بأعلى الدار،

---

(١) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج١، ص١٦٧-١٦٨، ابن دقماق: الإنتصار، ج٤، ص١٢٤، المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢٣٩ .

(٢) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٩؛ ابن تغرى بردى: مرد الطافة، ج٢، ص٤٣ .

(٣) خزانة البنود: كانت هذه الخزانه من منشآت الدوله الفاطمية، بناها الخليفه الظاهر بين قصر الشوك وباب العيد لخزم أنواع البنود من الرايات والأعلام عدا أنواع السلاح والآلات الحربية وكان فيها ثلاثة الاف صانع ماهرين فى سائر الصنائع وبها مدرسة لتعليم مماليك تلك الدولة أنواع العلوم وفنون الحرب، ثم احترقت تلك الخزانة بما فيها من أنواع المتاع وذلك سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م وجعلت بعد هذا الحريق سجنا تعتقل فيه الأمراء والمماليك ثم جعلوها منازل للاسرى من الفرنج واستمرت مخصصة لذلك حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون. المقريزى: الخطط، ج١، ص٤٢٣ .

فألقت نفسها لتقع عليه فأمسكنها جواريها، وهى تقول: "ليتنى فداك وقطعت شعرها ورمته عليه فتهالك الناس من كثرة البكاء رحمة لهم، واستمروا على ذلك أياما فمنهم من مات على ظهور الجمال، ومنهم من فكت مساميره وحمل إلى أهله ثم أخذ مرة ثانية وأعيد تسميره فمات. (١)

(١) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٩٥-٧٩٦؛ الصفدى: أعيان العصر، ج١، ص١٣٧؛ ابن شاكر: فوات، ج١، ص٤٠٧ .

الخاتمة

وبعد ،،،

فقد تطرق هذا البحث إلي دراسة شخصية مملوكية على جانب عظيم من الأهمية من منظور إنها أثرت فى الأحداث السياسية وتأثرت بها ألا وهى شخصية الأمير بدر الدين بيدرا المنصورى ويمكن عرض نتائج هذا البحث على النحو التالى:-

تطرق البحث إلى بيدرا لغة ثم نعته، وترقيه فى الوظائف بدءا من أول وظيفة تولاها وتم رصدها من خلال النصوص التاريخية وهى وظيفة أمير مجلس، ومرورا بوظيفتى الأستادارية والوزارة، أو الوزارة والأستادارية، وانتهاء بوظيفة وزير فى عهد السلطان الملك المنصور قلاوون، مع ذكر الأحداث السياسية خلال ترقيه هذه الوظائف.

أما فى المحور الثانى فقد رصد الباحث وظيفة بيدرا وزيراً فى بداية عهد السلطان الملك الأشرف خليل ثم ترقيه فى وظيفة نائب السلطنة وهى الوظيفة التى ظل عليها إلى أن تمكن من قتل السلطان الأشرف خليل وإعلان نفسه سلطان مصر، وفى هذا المحور أيضاً ألقى الباحث الضوء على جميع الأحداث السياسية وغير السياسية التى مرت ببيدرا سواء من حيث علاقته بالسلطان الأشرف أو الأمراء، وفى هذا الإطار رصد الباحث احتفاظ بيدرا بنيابته للسلطنة إلى أن قتل ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م.

فى المحور الثالث تطرق الباحث إلى مقتل السلطان الأشرف خليل على يد بيدرا أو من تبعه من الأمراء، ثم مقتل بيدرا على يد المماليك الأشرفية عقب إعلانه السلطنة لنفسه بالطرانة قبل أن يصل إلى قلعة الجبل.

ناقش الباحث فى هذا المحور سلطنة بيدرا ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م ونلقبه بالملك الأوحد أو المعظم أو القاهر حيث عاد بمن معه من الأمراء بعد قتله للسلطان الأشرف خليل، ونزل بالدهليز، وجلس فى دست السلطنة، وقام الأمراء فقبلوا الأرض بين يديه وحلفوا له، غير أن هذا الأمر لم يتم له بسبب مقتله بالطرانة، لذا لم يذكر بيدرا ضمن سلاطين العصر المملوكى سواء من قبل المؤرخين أو الباحثين مما فرض نقاشا حول الموضوع بأكمله لإيضاح مدى أحقيته فى لقب سلطان من عدمه.

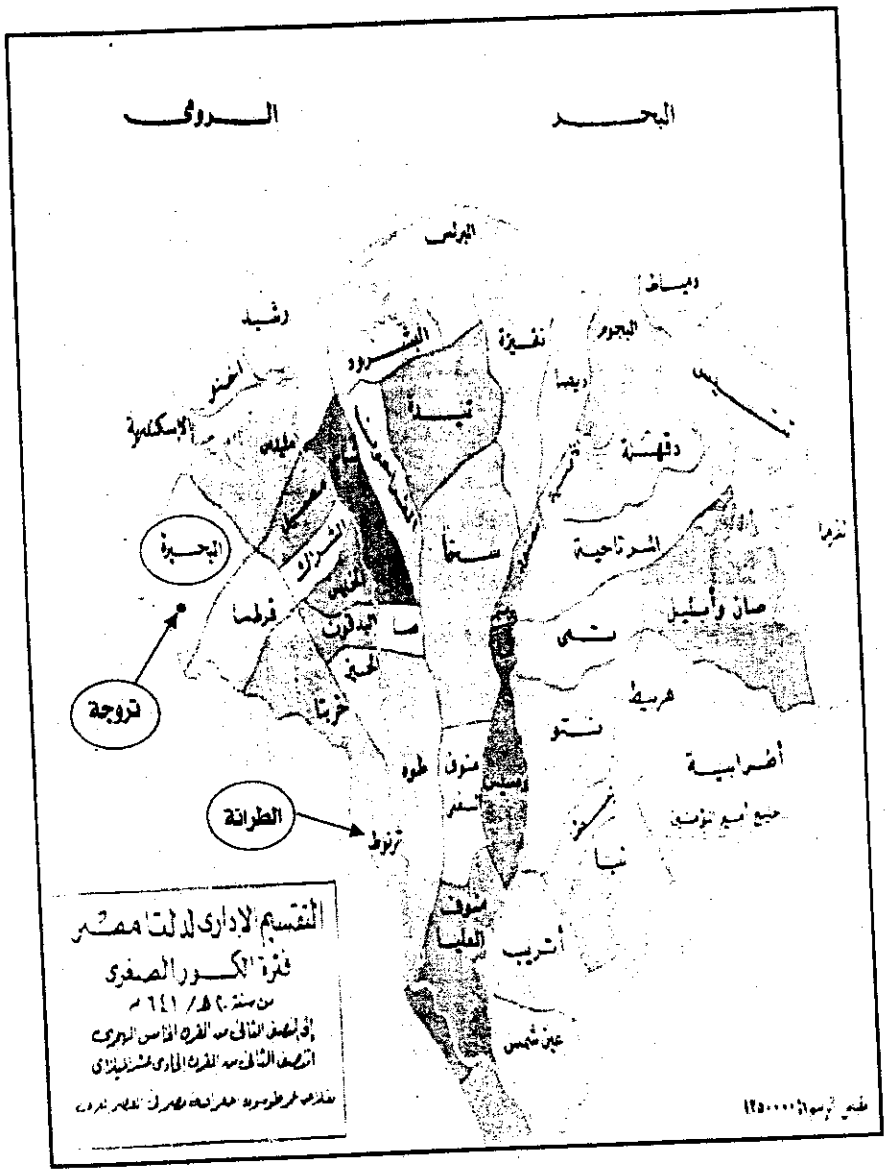
البحر
البرلس
دمياط
رشيد
الإسكندرية
البحيرة
تروجة
الطرانة
الفيوم
أشمونين
أسيوط
أخميم
أسوان
التقسيم الإدارى لدلتا مصر
فترة الكور الصغرى

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية:

١. ابن إياس: أبو البركات محمدين أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م):
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، الطبعة الثانية، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.

٢. بيبرس المنصورى: الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادارى (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٦م):
- التحفة المملوكية فى الدولة التركية، (تاريخ دولة المماليك البحرية فى الفترة من ٦٤٨-٧١١ هجرية)، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٣. ابن تغري بردي: جمال الدين أبى المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه : د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- مرد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٩٧م، جزءان.

٤. ابن حبيب: الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):
- تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز التراث، د.ت.

٥. ابن حجر العسقلانى: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م) :
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، حيدر آباد، الهند .

٦. ابن حوقل: أبى القاسم محمد بن على (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) :
- صورة الأرض، ليدن، الطبعة الثانية، ١٩٣٨م .

٧. ابن خرداذبه: أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت فى حدود ٣٠٠هـ/ ٩١٢م):
- المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبى الفرج بن قدامه بن جعفر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

٨. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر بن خلدون المغربى (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) :
- تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٩. ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م):
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار فى تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

١٠.الذهبى: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م):
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- العبر فى خبر من غبر، حققه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت .
- تاريخ دول الإسلام ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م .
١١. الصفدى: صلاح الدين خليل ابن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م):
- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: د .على أبو زيد، وأخرون، قدم له. مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر، دمشق سوريا، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .
- الوافى بالوفيات، تحقيق الارناؤوط وتركى مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م .
١٢. ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم بن أعين القرشى المصرى (ت ٢٥٧هـ/ ١٨٦٧م) :
- فتوح مصر وأخبارها، صفحات من تاريخ مصر (١٠)، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م .
١٣. العصامى: عبد الملك بن العصامى المكى
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد عوض، دار الكتب العلمية، د.ت.
١٤. العينى: بدر الدين محمود العينى (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م):
- عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (عصر سلاطين المماليك)، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
١٥. أبو الفدا: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن على (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):
- المختصر فى أخبار البشر، ويعرف بتاريخ أبو الفدا ، المطبعة الحسينية المصرية ، القاهرة، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٥م .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ١٩٩٣م.
١٦. ابن الفرات: محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م):
- تاريخ ابن الفرات. الجزء السابع والثامن، تحقيق د. قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، بيروت، سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٨م .
١٧. ابن قدامه المقدسى: محمد بن أحمد بن عبد الهادى
- العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام احمد بن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربى ، بيروت.
١٨. قدامه بن جعفر: (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م):
- الخراج وصنعة الكتابة ، تحقيق طلال الرفاعى، مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

١٩. القلقشندى: أبى العباس أحمد بن على (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، تراثنا، وزارة الثقافة والإرشاد القومى .
٢٠. الكتبى: فخر الدين محمد بن شاكر الكتبى (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):
- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق أحمد عباس، بيروت، د.ت.
٢١. ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر الحافظ (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):
- البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٨م
٢٢. مجير الدين الحنبلى العليمى:
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، مكتبة دنديس عمان، ١٩٩٩م.
٢٣. أبو المحاسن : جمال الدين يوسف بن عبد الله الظاهرى بن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩م) :
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م .
٢٤. المقريزى: تقى الدين أبى العباس أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):
- السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشية محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، الطبعة الثالثة، القاهرة ٢٠٠٦م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م.
٢٥. ابن الوردى: زين الدين عمر بن مظفر بن الوردى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٧٠م):
- تاريخ ابن الوردى، تحقيق محمد حسن الشجاع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
٢٦. اليافعى: عفيف الدين عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ/ ١٢٧٦م):
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبد الله الجبورى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
٢٧. ياقوت الحموى: شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):
- معجم البلدان، دار الفكر – بيروت، (د.ت) .
٢٨. اليعقوبى: أحمد أبى يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م):
- كتاب البلدان، السلسلة الجغرافية (٦). دار إحياء التراث العربى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

ثانيا: المراجع العربية :

١. حسن الباشا :
- الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة، ١٩٨٩م.
٢. د. حسين مؤنس:
- أطلس التاريخ الإسلامى، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٣. سعيد عبد الفتاح عاشور:
- العصر المماليكى فى مصر والشام ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٩٤م .
٤. عبد الله كامل موسى عبده:
- سرحة البحيرة ومتنزه الطرانة وتروجه حتى بداية العصر العثمانى، مجلة التاريخ والمستقبل، جامعة المنيا، عدد يوليو ٢٠٠٨م .
٥. عبد المنعم ماجد :
- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، مكتبة الأنجلو، ط٢، القاهرة، ١٩٧٩م.
٦. محمد أحمد دهمان :
- معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان ، دار الفكر، دمشق ، سورية ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٧. محمد رمزى:
- القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٤٥م، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م .
٨. محمد محمد زيتون:
- إقليم البحيرة، الإسكندرية، ١٨٦٦م

ثالثا: المراجع الأجنبية :

1- King: The Knights Hospitallers in The Holy Land, London, 1931.
2- Lané Poole: A history of Egypt in The Middle Ages, London, 1936 .
3- Setton: A History of Crusades II, Pensylvania, 1958 .
4- Wiet: L"Egypte Arabe, Paris, 1920 .